

ع



## الباب الرابع

### عوامل التكوين النفسي ومبادئه

\* تمهيد \* عوامل الاستعداد الفطري \* الكيان الجسدي \* الجهاز العصبي \* الغدد الصماء \* عوامل الرعاية البيئية \* الصحة العامة \* التغذية \* التربية والمجتمع \* تفاعل الفواعل والرعاية \* ابعاد التكوين النفسي \* المبادئ العامة في التكوين النفسي .

#### تمهيد

التكوين النفسي - حقيقة فسيولوجية سيكولوجية - يتكون في اطار من العوامل المتفاعلة من استعداد فطري هو هبة الطبيعة الانسانية مع ما يحيط به من رعاية بيئية تحدد كثيراً من مظاهر الفطرة ، وترسم لها طريق التكوين النامي . وهذه العوامل متداخلة متشابكة بحيث يصعب على الباحث أن يحدد ان هذا النوع من التكوين بذاته يخضع كلياً لعامل واحد دون تفاعله مؤثراً ومتأثراً بغيره من العوامل الاخرى .

فالانسان منذ اللحظة الاولى للتلقيح واستعداده وبيئته يتفاعلان دائماً ودون توقف أو انقطاع مادام حياً .

ولكن لغرض الدراسة المنهجية يمكن تقسيم هذه العوامل الى :

١ - عوامل الاستعداد الفطري وتشمل :

أ - الجسم والحواس .

ب - الجهاز العصبي .

ج - الغدد .

٢ - عوامل الرعاية البيئية وتشمل :

أ - الصحة العامة .

ب - التغذية .

ج - التربية والمجتمع الانساني .

### عوامل الاستعداد الفطري للتكوين النفسي :

الاستعداد الفطري هو القوة الطبيعية في الكائن الحي التي تنتقل مع الحياة وتنقل معها صفات من الأصل الى النسل . فالأب والأم الحيان ينقلان عن طريق اللقاح حياة من ( خلية الذكر ) والبويضة ( خلية الأنثى ) الى مخلوق جديد يحمل منهما وراثات متعددة . وذلك المخلوق الصغير جداً هو الذي سيكون جنيناً ليتابع سيره التكويني . فهذا الاستعداد الفطري الانساني هو هبة الآباء والاجداد الى ما لهم من بنين واحفاد وأسباط . ويتجلى هذا الاستعداد الفطري التكويني في الكيان الجسمي العام . والجهاز العصبي والغدد .

آ - الكيان الجسمي العام يتمثل هذا الكيان في الجسم وما يحتويه من اجهزة داخلية وخارجية وأطراف وحواس . وما تتسم فيه من صفات اللون والشكل والنسيج التكويني . والانسان يرث تكوينياً هذه المظاهر بطريقتين من الانتقال : انتقال جسمي نوعي فنسل الانسان انسان كما ان نسل الحصان حصان . وانتقال جسمي خاص فردي وذلك كانتقال لون الشعر وتركيبه ولون العيون وشكلها وطول القامة وقسمات الوجه . فالتركيب الجسمي الحيوي ( بيولوجي ) هو اهم العوامل المؤثرة في التكوين لأنه يهيئ لكل فرد ان ينمو في اطار منظم متوافق مماثل في أساسه . ولو أن هناك عوامل مساعدة كالغذية والصحة مثلاً تساعد النمو او تعوقه . إلا انه تحت الظروف العادية يسير التكوين في طريقه المرسوم له . في الوقت

المناسب له مستقلاً عن ظروف البيئة الى حد يدعو للعجب الشديد . فالوزن يزداد والقامة تطول . والنسب الجسمية تتغير . والقوة والمهارة تنضجان كل هذه الامور تتم في حدود العامل الحيوي الفطري للانسان ككائن حي نامي .

وقد تكفل علم الوراثة والاجناس بدراسة قوانين الوراثة وتحديد نسب الارتباط السالبة والموجبة . ومهمة العالم النفسي ان يلاحظ النمو الطبيعي للجسم . وان يقدم له احسن الظروف الملائمة حتى يأخذ سبيله العادي الى النضوج الكامل المقرر له . فالعناية التربوية ان سبقت النضوج الجسمي ذهبت عبثاً . كما انها ان تأخرت عن موعدها من النضج عاقت النمو وسيبت له انحرافاً او شذوذاً .

فاعامل الكيان الجسمي لا يفيدته التدريب الا في مراحل النضوج . فليس من المستطاع مثلاً ان ندرب الاطفال على المشي قبل ان تنمو اجهزتهم العصبية والعضلية اللازمة للحركة . كما ان الطفل لن يستطيع الكلام الا اذا بلغ النضج الوراثي الكافي في اجهزته التنفسية والصوتية . كما ان زيادة كمية الطعام لن تزيد من سرعة نموه التكويني .

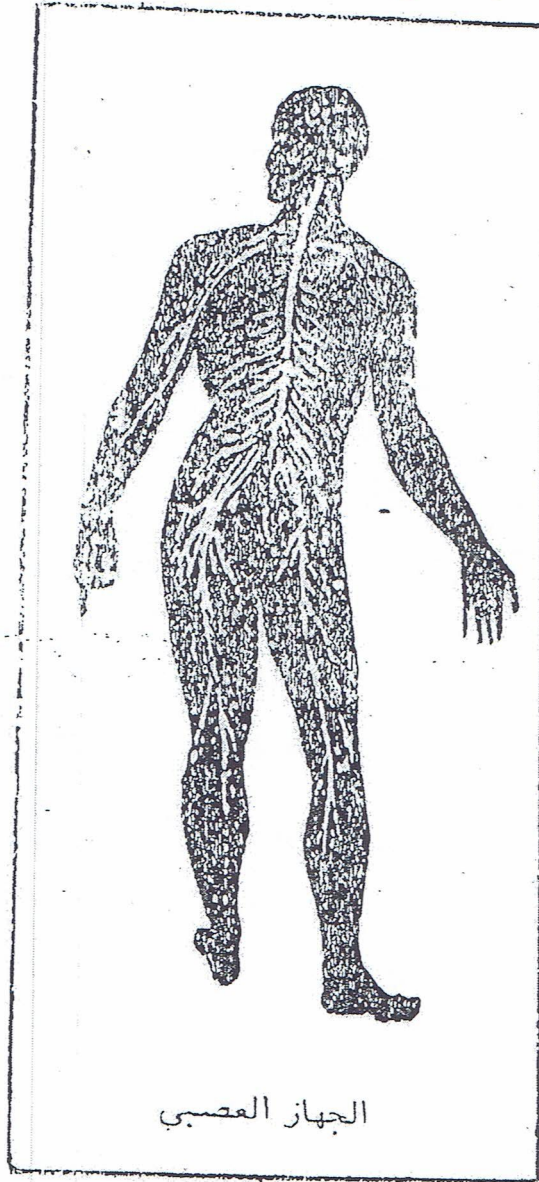
### ب - الجهاز العصبي :

الجهاز العصبي يشرف على جميع الوظائف العضوية ويؤلف بينها ويحقق وحدة الكائن الانساني . فهو الذي ينقل التنبهات الحسية من جميع اعضاء الجسم سطحية كانت او عميقة . وعنه تصدر التنبهات الحركية الى الغدد والى العضلات والاعضاء .

ويمثل هذا الجهاز حلقة الاتصال بين الجسم كتكوين مادي محسوس . وبين النشاط العقلي والفكري والنشاط الانفعالي العاطفي لدى الانسان . ويتكون هذا الجهاز من خلايا عصبية تتصل مترابطة لتكوين شبكة معقدة من الاعصاب تشبه اسلاك الهاتف المكهربة التي تصل اطراف الجسم وحواسه وأحشائه بالمنخ والمخيش والنخاع الشوكي .

ولدرجة الحساسية في الاعصاب ومرونتها وقوة تركيبها اثر بعيد في التكوين

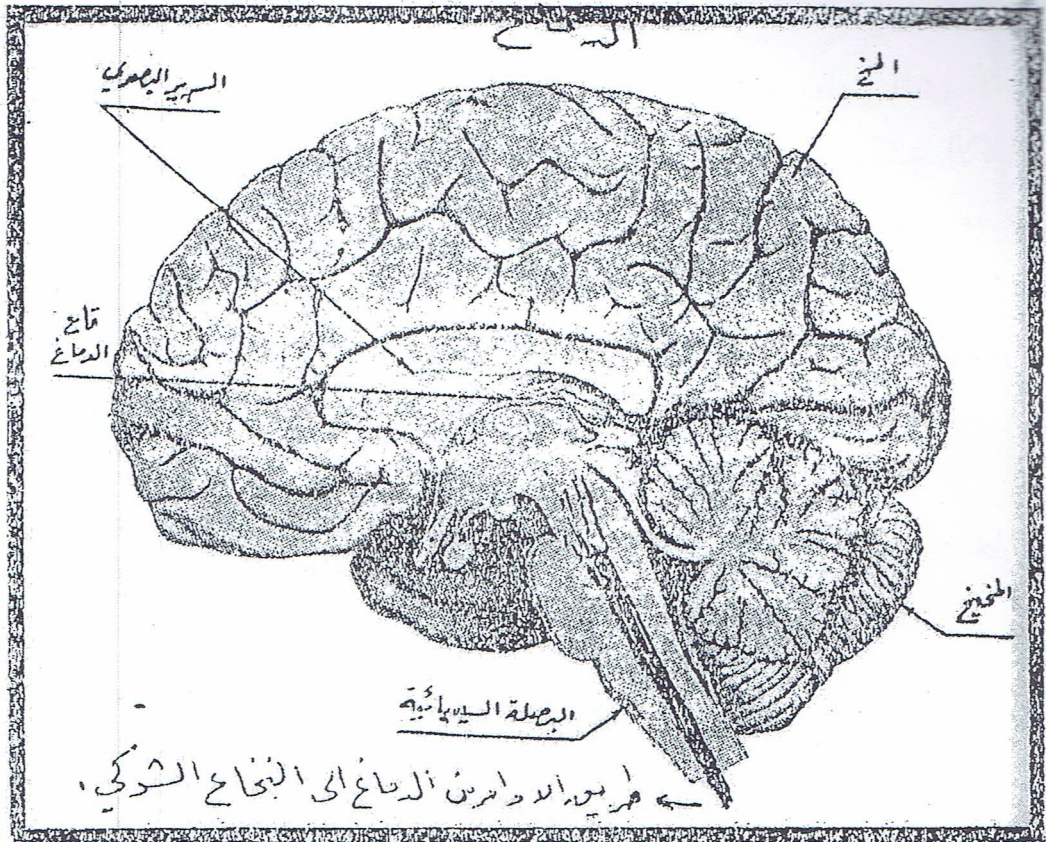
الانفعالي والعقلي لدى الانسان . فزيادة الحساسية تسبب القلق العصبي وزياد  
ضغط الدم والتقلب الانفعالي . أما نقصها فيسبب بروداً انفعالياً وخمولاً جسمياً .  
كما ان قدرة التكيف العقلي السريع يتصل بدرجة المرونة العصبية وسرعة الاستجابة .



الجهاز العصبي

الغدد الصماء :

الغدد عامل هام في التكوين الجسمي والعقلي والانفعالي عن طريق ما نصبه في  
الجسم من افرازات . والغدد أنواع أهمها الغدد الصماء التي تؤثر تأثيراً مباشراً في  
التكوين الانساني بما تصبه مباشرة في الدم . وهي لذلك غنية بالأوعية الدموية



الشعيرية ويسمى افرازها بالهرمون - وتفرز يومياً بضع ميلغرامات يصل افرازها جميع أعضاء الجسم في حوالي ١٥ ثانية . وهذا الهرمون ذو تأثير كبير لأنه يزود الجسم بطاقة حيوية للقيام بعمليات الهدم والبناء . وبه يتأثر التكوين العقلي والانفعالي والجنسي لدى الانسان . وذلك لما تصبه في الدم من مواد عضوية وكيميائية . وأهم هذه الغدد الصماء :

#### ١ - الغدة النخامية :

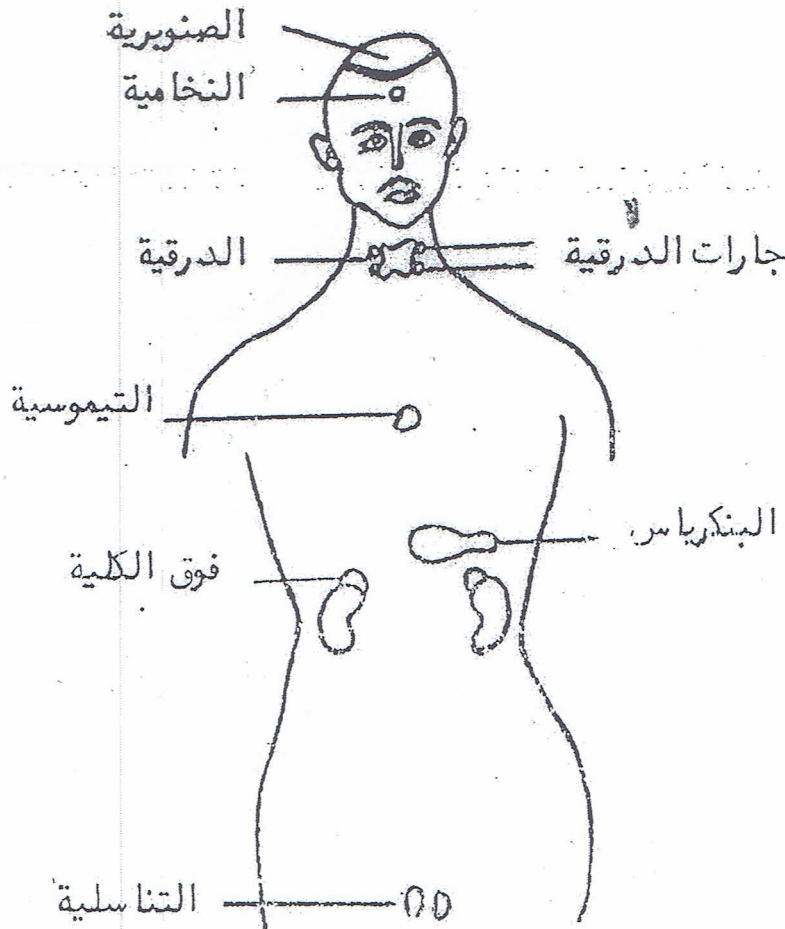
وهي غدة صغيرة يتراوح وزنها بين ٣٥٠ - ١١٠٠ ميلغرام وتقع في قاعدة المخ في تجويف عظمي . ولها اثر في الغدة الدرقية والتناسلية والبنكرياس ووظيفتها تحديد الصفات التكوينية الجسمية من طول او قصر .

## ٢ - الغدة الدرقية وجاراتها :

تقع أسفل الرقبة أمام القصبة الهوائية . وحين عجزها تظهر لدى الانسان سمنة مفرطة مع خمول ونسيان متزايد وعدم قدرة كافية على تركيز الانتباه .  
وإذا زادت افرازاتها أصبح الانسان قلقاً قليلاً الاستقرار . سريع الاستفزاز مضطرباً في نومه ومتقطعاً الى فترات .  
ووزن هذه الغدة ( ٥٠ ) سنتيغرام . وتقوم بضبط عملية الكالسيوم والفسفور .

## ٣ - البنكرياس :

تقع هذه الغدة خلف المعدة ووزنها ( ٨٠ - ٩٠ ) غ ولها افرازان : خارجي



يصب في الاثني عشر ويساعد عملية الهضم . وافراز داخلي يسمى بالانسولين Insulin ووظيفة الانسولين ضبط مستوى السكر في الدم . فزيادته تسبب مرض السكر . والمريض به تتناهب من الناحية النفسية حالات من الدهول . وقد يصاب بالغيوبة وفقدان الشعور . أما نقص السكر فيسبب شعوراً بالجوع الشديد والاحساس بالتعب وصعوبة المشي .

### عوامل الرعاية البيئية في التكوين النفسي للانسان :

الرعايا البيئية هي العوامل الخارجية التي تؤثر في التكوين النفسي من مبدأ التكوين في الرحم حيث البيئة الأولى بما توفره من دفء وغذاء وحماية. ثم يفد الجنين بعد الميلاد الى البيئة الخاصة التي تشمل المنزل والاسرة والمدرسة والأصدقاء . فاذا اصبح الانسان راشداً . وغدا عضواً في الجماعة فقد دخل البيئة العامة من بابها العريض . ولقد اتسعت هذه البيئة -اليوم - حتى شملت جميع الارض والفضاء . لأن الانسان خاضع لعواملها بما تنقله اليه وسائل النشر والاذاعة والاعلام والمواصلات . فلقد انقضى عصر المدن المسورة والابواب المنزلية المعلقة والاطوان المنعزلة النائية .

### آ - الصحة العامة :

وضعت الدول الست والأربعون الموقعة على دستور هيئة الصحة العالمية تعريفاً للصحة يجعل منها واجباً يشترك في تحمله كل المتصلين بالانسان . وهذا التعريف هو ان الصحة هي حالة السلامة الجسمية والعقلية والاجتماعية الكاملة . وليست مجرد الخلو من المرض او العاهة . فالصحة هي التي تقدم للكائن فرصة لينمو في تكوينه الجسيمي والعقلي . أما الامراض بوجه عام ولاسيما المزمنة منها عامل عظيم الاثر في عرقلة التكوين الطبيعي للجسم . وقد تقضي عليه أو تسبب له ضعفاً عاماً وهزالاً مزمناً .

فصحة الزوجين ذات أثر بعيد في صحة أولادهما . فهناك امراض يرثها الوليد من ابويه . وقد تحدث تلك الامراض تشويهاً جسيماً أو عقلياً في تكوينه .

وقد اكتسبت فترة الحمل اهمية خاصة نتيجة لما ثبت من ان اصابة الأم بمرض معد قد يؤدي الى تعريض الجنين لتشوهات مختلفة . فاصابة الحامل بالحصبة الالمانية قد تنجم عنها اصابة الوليد بالسدة ( الكتاراكت ) أو بمرض من أمراض أو بالصمم والبكم أو ضمور الرأس أو بها جميعاً . وقد أصاب الطب تقدماً ملحوظاً في القرن العشرين عندما اكتشف علاج شلل الأطفال وغيره من الأمراض . مما جعل تطعيم الأطفال في اعمار مناسبة واجباً قومياً لصيانة التكوين الانساني من جسمه وعقله واعصابه من الوقوع ضحية رخيصة لامراض وراثية أو مكتسبة .

#### ب - التغذية :

يعتبر الغذاء من العوامل الاساسية في التكوين النفسي للانسان لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمبدأي التوازن وتفتح الأنماط النفسية لدى الانسان . وتعتبر عمليات التنظيم الغذائي الذاتي مزيجاً مدهشاً من الاستعداد الفطري والرعاية البيئية ومن العوامل العضوية والنفسية . فالحاجة الجسمية الى الغذاء تظهر لدى الانسان على صورة قرصات الجوع التي تخففها الرضاعة اذا كان في المهده . او التماس الطعام ان كان فطيماً أو راشداً . وشهوة الطعام والقابلية هي التي تحفظ كثيراً من التوازن . والانسان - ككائن حي - يعجز عن تحقيق امكانياته في التكوين اذا كان غذاؤه غير كاف . أي أنه يفتقر الى بعض العناصر الغذائية كالفيتامينات والاملاح أو اذا اضطربت شهوة الطعام نتيجة لسوء تهيئة الظروف الملائمة للحصول على الغذاء او استهلاكه .

ولقد كان منذ القدم - شهوة الطعام وسهولة الحصول عليه وكفايته عوامل رئيسية في انتعاش التكوين ودوامه واضطراب نموه . أما المجاعات والحرمان فهي عوامل ضعف في التكوين . وتعرضه لآفات المرض التي تولد مضاعفات نفسية وجسمية واجتماعية وقد تقضي على الحياة . فالتكوين عملية مستمرة يؤثر ماضيها في حاضرها . ويكون مستقبلها نتيجة لما سبق من حلقات . فالضائقة الاقتصادية



التي تعرضت لها فرنسا مثلاً أثناء الحرب العالمية الأولى أثرت في تأخير نمو صغار الأطفال الفرنسيين سنتين . مع تأخر ملحوظ في سني المراهقة . كما أنه قد ثبت أن صرف اللبن في المدرسة للأطفال الذين يعانون من سوء التغذية قد رفع من أطولهم وزاد في أوزانهم بينما لم يحدث ذلك التأخير في مجموعة أخرى من أطفال لم يتناولوا اللبن .

فالغذاء هو المادة الأساسية في تزويد الطاقة التكوينية ودوامها لأن الجسم يحتاج في عملية النمو وعملية الاحتراق وعملية ترميم الخلايا المتهدمة إلى البروتينات والكربوهيدرات والدهنيات . ومتوسط ما يحتاجه الإنسان العادي من السعور الحرارية يومياً يزداد فيما بين الطفولة المبكرة والرشد من حوالي ٥٠٠ سعر إلى ٣٥٠٠ سعر . ويخضع تحديد هذه الكمية لوزن الجسم ونشاطه وقدرته على التمثيل كما أنه قد ثبت أن البنين يحتاجون إلى كمية أكثر من السعور الحرارية مما تحتاجه البنات في الأعمار المماثلة .

ولنوع الغذاء اثره البعيد في الكيان النفسي للإنسان : فالإدمان على المنسكرات مدعاة لنشاط فجائي عارم يعقبة بحمول مديد . والأكثار من اللحوم والدهنيات مدعات للهيجان الانفعالي . والتوتر العصبي . بينما التزام الخضراوات لوحدها مدعاة للهدوء النفسي الذي يتميز بالاستسلام والحمول .

### ج - التربية والمجتمع الانساني :

للتربية اهمية عظيمة في تحديد الشكل النهائي للتكوين النفسي والعقلي والاجتماعي . وفيها تتفاعل عوامل الاستعداد الفطري بعوامل الرعاية البيئية التي تحددتها التربية ويتبناها المجتمع . فالإنسان يولد داخل مجتمع وهو نتيجة اجتماع . وهو أيضاً يولد داخل ثقافة تربوية اجتماعية تسود منزله وبيئته . وهذه التربية الاجتماعية تحدد معالم تكوينه . فاذا نما وأصبح راشداً يقوم بنقل تلك الأنماط التربوية الاجتماعية إلى صغاره . أو يحاول تغييرها لتلائم الحياة الاجتماعية المتجددة . فالوليد البشري يمتاز بما يحمله من مواهب وراثية سلالية واستعدادات فطرية كامنة ذات مرونة وقابلية للتشكيل - وهو اذ يبدأ حياته

كاعجز حيوان - يسير في سلمه التكويني سنوات معدودات تجعل منه انساناً راشداً هو أرقى الحيوانات وسيد العالم .  
والطفل انما ينتقل من مجرد « كائن حي » الى شخصية انسانية بواسطة التربية الاجتماعية التي ينالها بعد الولادة .

فالانسان يولد ولديه قدرة على الكلام . وراثياً واستعداداً فاذا بلغ مرحلة النضج الكافي فانه يتكلم اللغة التي يجدها في مجتمعه . وإذا أهملت تربيته الانسانية فعاش مع الحيوان في غابة او غار انكمشت فيه الانماط التكوينية النفسية وانعدمت منه الشخصية البشرية . ولم يتكلم بأية لغة وانما هو عواء او صراخ او نباح شأن ما يحيط به من الحيوان . وللتربية الاجتماعية اثرها البعيد في التكوين الانفعالي والادراكات . وللتربية ايضاً قيمة في تحديد مفاهيم الحياة والسلوك الاجتماعي .  
فالانسان يخضع في تكوينه العام الى عوامل التربية والمجتمع في الاسرة وهي المجتمع الاول . ثم في المدرسة وهي مجتمع مصغر . وأخيراً في المجتمع الكبير العريض . والمجتمع يؤثر في تكوين الانسان عن طريق ممثليه من والدين واقارب ومعلمين واصدقاء . وما ينقلونه الى الفرد الناشئ من نظم وعادات ونماذج . سلوكية . وقيم للحياة الفردية والجماعية . وذلك ما تقوم به التربية حين نعد الانسان اعداداً نفسياً وجسماً وعقلياً ليأخذ دوره في حياة الجماعة المتفاعلة .

والصلة بين الطفل والمربي هي ان المربي يهيئ البيئة الخاصة للطفل وان وظيفته فيها وظيفة الارشاد والاخذ بيد الطفل الى اقصى درجات استواء .  
ولعل انصح مثال لو وظيفة المربي هو تشبيه فرويد للمدرسة بروضة الاطفال هم ازهارها والمربي بستانيها الحريص الماهر . وطبيعي ان النبات سينمو ويصل الى غايته من الكمال طبقاً لمميزاته الوراثية فالجزر سينمو جزراً . والورد سينمو ورداً . وبديهي ان البستاني لا يستطيع أن يجعل بذرة الجزر تنمو فتصبح شجرة ورد . ولكنه يبذل قصارى جهده ليصبح الجزر احسن ما يمكن ان يكون عليه الجزر .<sup>(١)</sup>

(١) جيمس . س . روس ( الأسس العامة لنظريات التربية ) عميد كلية المعلمين - يوسف منشد :  
ترجمة صالح عبد العزيز ومحمد السيد غلاب . مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - دون تاريخ  
ص ١٠٣ - ١٠٤ .

## تفاعل عوامل الفطرة والرعاية في التكوين النفسي :

التكوين النفسي للانسان هو نتيجة تفاعل عوامل الاستعداد الفطري مع عوامل الرعاية . ولا نستطيع ان نتصور انزال احد العوامل عن الاخرى لانها تتبادل التأثير منذ لحظة الحمل الاولى وتستمر ما دامت الحياة . فالاستعداد الفطري لا يتم تكوينه ونضجه الا في بيئة ورعاية . والبيئة لا تستطيع ان توجد شيئاً من العدم . بل انها تستطيع ان تقدم الرعاية لما هو كائن حي فعلاً .

فعملية التكوين الزراعي مثلاً تقتضي وجود البذرة والتربة معاً وان يتفاعلا فالبذرة مهما كانت جيدة فانها لا تنمو اذا خزنت في صندوق حديدي لسنوات . بل لا بد لها من تربة . والتربة مهما كانت خصبة فانها لا تفعل شيئاً اذا كانت البذرة غير صالحة للنمو . أو اذا لم تتوفر البذرة أصلاً . فالأرض مهما كانت طيبة فانها لا تقلب بذرة القمح الى تفاح والبذرة مهما كانت جيدة في نوعها فلا بد لها من تربة طيبة خصبة .

فتفاعل عوامل الاستعداد الفطري بالعوامل البيئية حقيقة أساسية في تكوين الانسان . ولكن العلماء اختلفوا في ايهما أقوى أثراً : فبعض العلماء يرى ان الاستعداد الوراثي هو الذي يقرر تكوين الفرد وان للرعاية اثراً ضعيفاً مساعداً وبعض العلماء يرى ان عوامل الرعاية والمجتمع هي التي تحدد نماذج التكوين وانماط الشخصية وقوالب الحياة الاجتماعية . وانها تستطيع ان تعدل كثيراً من ميول الفطرة واستعدادات الوراثة . والواقع ان كلا الرأيين متطرف في نظرتهم وقد اقر بشيء مما اثبتته الأخر . فأنصار الرعاية لا ينكرون آثار الاستعداد الفطري في التكوين الجسمي والمزاجي والعصبي . كما ان انصار الوراثة لا ينكرون آثار الرعاية البيئية في التكوين الخلقي والادراكي والاجتماعي .

فالعوامل المختلفة تتفاعل في التكوين النفسي للانسان . وقد بلغ هذا التفاعل المتبادل في عصرنا درجة لم يبلغها من قبل . بحيث يستحيل على الانسان ان يكون بمنعزل عنها ولو قدر له ان يعيش حياته كلها في عقر داره .

ولقد اوضح « ويلارد اولسون » هذه العوامل المتفاعلة حيث مثل الاستعداد

الفطري في التكوين الانساني بكوب . ومثل الرعاية البيئية بالماء يصب في ذلك الكوب . فالكوب الكبير يمثل الاستعداد الفطري الممتاز والكوب الصغير يمثل ضعف الاستعداد . او الامكانية المحدودة . والملاحظ ان كوب كل منا فيه قليل أو كثير من الماء وأن لكل منا كوبه الخاص .

وشبه « وود ورث » تفاعل الاستعداد بالرعاية في التكوين النفسي للانسان بالمستطيل الذي تتوقف مساحته على كل من طوله وعرضه ، وقد يتناقص الطول ليصير عرضاً . او يتزايد العرض ليصبح طولاً . ولكن التكوين النفسي يبقى كنتاج لتفاعل هذين العاملين .

ولقد لخص ( هيوز ) هذا التفاعل بقوله : ان الفطرة الوراثية ليست أكثر تأثيراً من الرعاية . كما انها ليست اقل أهمية . فكلاهما أساسي للحياة . وفقدان احدهما يعني عدم الحياة .

### ابعاد التكوين النفسي :

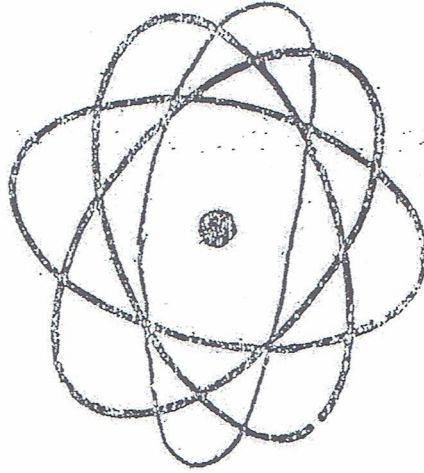
التكوين النفسي - كحقيقة عضوية سيكولوجية - هو عملية نمو متداخلة ومتفاعلة . والانسان - ككائن حي نام - هو وحدة ديناميكية فريدة ولا يمكن ولا ينبغي ان تنفصل جوانب تكوينه بعضها عن بعض . بل كل جانب منها يؤثر ويتأثر بالجوانب الأخرى . فالانسان لا يعيش ولا يتجارب بجانب واحد من تكوينه الانساني . وانما هو وحدة انسانية متكاملة . فاذا قال فانما يقول بجسمه وعقله وعاطفته . وإذا كره او فرح او غضب او احب فانما يسلك ذلك بجسمه وإدراكه وعاطفته وهو أيضاً يعيش مع الناس في مجتمعاتهم بجسمه وإدراكه وانفعاله .

بهذا الاطار الشامل تقوم الدراسات النفسية الحديثة للانسان . ولكن لغرض التحليل لمقومات التكوين اعتاد العلماء النفسيون أن يقدموا جوانب التكوين النفسي للانسان ومظاهره في ابعاد ينشأ من تفاعلها النامي ذلك الكائن الانساني الفريد .

وتتجلى ابعاد التكوين النفسي فيما يلي :

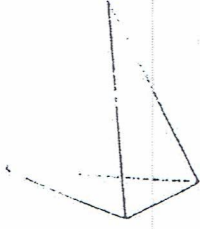
١ - التكوين الجسمي للانسان بحيث يشمل التركيب الجسدي وما يتصل به من وزن وطول وحركة وحواس ووظائفها واعصاب ونشاطها الحاسي والحركي والفكري. ودراسة التكوين الجسمي ذات اهمية كبرى في التكوين الانفعالي للانسان . لأن الجسم هو موطن الأنفعال والادراك واداته وميدانه . والأجهزة العصبية والدموية والغدية انما تمثل الصلة المحكمة بين ما يسمى بالبعد الجسمي المادي . والبعد الانفعالي والادراكي للانسان .

٢ - التكوين الانفعالي . ويتضمن الانفعالات الاولى للانسان . ومظاهر السلوك التعبيري للانفعال . ومراحل التكوين . وطرائق التوجيه وتصنيف الافراد في المستوى المزاجي . وطرائق استجاباتهم لمواقف الحياة الانفعالية .



٣ - التكوين الادراكي - وذلك بدراسة المستويات الاحساسية والحاسية والادراكية ثم الذكاء وما يتصل به من عمليات التذكر والنسيان والتفكير والتخيل . والقدرات العامة والخاصة للعمليات العقلية الانسانية .

٤- التكوين الاجتماعي بدراسة النمو الاجتماعي مراحل التكوينية وتعدد الصلات الاجتماعية وتعقدتها سعة وعمقاً . والازمات الاجتماعية وعملية التمثيل الاجتماعي . ومشكلات النمو الاجتماعي .



ويمكننا ان نشبه التكوين النفسي بهرم ثلاثي قاعدته  
التكوين الجسمي بينما يمثل كل جانب منه بعداً تكوينياً  
انفعالياً ثم ادراكياً ثم اجتماعياً .

ولقد الحقت بهذه الابعاد المتقدمة بعداً آخر هو ثمرة التكامل في تفاعل  
هذه الابعاد التكوينية من جسمية وانفعالية وادراكية واجتماعية . وفي اتران علاقتها  
في أعلى المستويات وذلك البعد هو التكوين الحلقي الذي يعتبر غاية التكامل في  
انسجام التكوين النفسي للانسان .

#### المبادئ العامة في التكوين النفسي :

ليس - التكوين النفسي - ظاهرة اعتباطية فوضوية ؛ بل هو عملية تنظيم  
الحياة الانسانية ، واعداد لتكاملها ، وهو بذلك يخضع لمبادئ عامة أساسية  
يشارك جميع الافراد الانسانيين في سلوكها من بدء الحياة الى ختامها . وهذه  
المبادئ تخضع في وجودها لعوامل طبيعية في السلالة البشرية ، ولذا فان البيئة  
أو الرعاية لا تستطيع أن تفعل إلا اثراً ثانوياً في بعض الجوانب .

ولقد توصل العلماء النفسيون إلى هذه المبادئ بعد ملاحظات مستمرة  
ودراسات تتبعية في شتى مظاهر التكوين وأبعاده النامية . وتتلخص تلك المبادئ  
التي تتحكم في سير التكوين بما يلي :

١ - التكوين يتضمن نمواً تزايدياً في الكم والكيف حتى الرجولة ، ثم نمواً  
كيفياً فقط في مراحل الكهولة والشيخوخة . فالطفل ينمو ليصبح رجلاً والبنات  
تنمو لتكون امرأة ، وهما يزيدان ذلك في الوزن والطول والحجم . ويزداد  
التكوين في أجزائه وأحشائه وسلوكه تعقيداً . اما في المراحل التي تلي مرحلة النضوج  
فالتكوين إنما يتضمن تغييراً في الكيف وتناقصاً في النشاط الحركي والحاسي  
والعصبي فالتكوين والادراكي والانفعالي .

٢ - التكوين يسير في نضوجه من الكل إلى الجزء ومن العام إلى الخاص :

يبدأ الجسم الانساني وجوده وهو قليل التعقد والاجزاء ، وكلمات تقدم به النمو ازدادت اعضاؤه تفصيلاً ودقة ووضوحاً ، فالتكوين اللغوي يبدأ بكلمة واحدة وهي تتضمن لدى الطفل جملة . فاذا قال : ماما . أو بابا . أو دادا . . . فانه يريد بذلك شيئاً من ماما . . . وأمه أو من حوله يستطيع فهم الجملة التي تتضمنها الكلمة . ثم ينطق الطفل بكلمة ويريد بها كلمة واحدة . ثم يستطيع أن ينطق بحرف واحد ، وأخيراً بالاعراب وحر كاته . وفي التكوين الحركي يبدأ النمو من هياج عام يشمل الجسم كله بأطرافه ؛ ثم يتمركز شيئاً فشيئاً في عضو واحد يتعلق بما يريد . وعندما يريد الطفل أن يمسك شيئاً فانه يرمي بجسمه كله دفعة واحدة نحو الشيء أولاً ، ثم يتمكن تدريجياً من تحريك يده الواحدة وجزء محدود من أصابعها .

٣ - التكوين نمو متعاقب ، يسير التكوين في نمو متسلسل طبيعي منظم . وكل مرحلة هي نتيجة لما سبق . وهي أيضاً تمهيد لما يتبعها من مراحل . فالانسان - وكل انسان - ينتقل قبل الولادة من بيضة ملقحة الى جنين غير مكتمل الى جنين مكتمل ثم بعد الولادة ينتقل من الرضاع والمهد ، الى الطفولة ، الى المراهقة والشباب ، الى الرجولة او الامومة ، الى الكهولة ثم الى الشيخوخة . . فالانسان لا يقفز من المهد الى الكهولة مباشرة وطفرة واحدة ، كما ان الشيخوخة لا تسبق الطفولة أو الشباب ، وإنما هو سلم طبيعي يصعد فيه الحي بدرجات ، ثم ينزل علمية بدرجات . وقد لا يتابع الانسان في حياته كل المراحل المتعاقبة فيدركه الأجل في احداها ، لأن المراحل متعاقبة ، ولكنها ليست حتمية لكل حي . ويتمثل التعاقب في كل ابعاد التكوين ، ففي التكوين الحركي نجد أن الطفل يتقلب بطناً وظهراً قبل ان يجلس ، ويجلس قبل ان يقف ، ويقف قبل أن يمشي ، يمشي قبل أن يجري . وفي التكوين اللغوي نجد أن الانسان يستطيع الكلام والمحادثة قبل أن يصبح قادراً على القراءة والكتابة ، وقبل ان يستطيع التحكم بقواعد الخط والاعراب . فالكلمات تبدأ في الظهور لدى الطفل في

اواخر العام الاول وأوائل الثاني بينما تبدأ القراءة والكتابة في السنة الخامسة او السادسة ، أما قواعد الخط والاعراب فتتأخر عن ذلك سنوات .

٤ - التكوين عملية مستمرة لا تقف . فالكائن الحي في تكوين دائم ونمو مستمر ، وقد تختلف سرعة النمو أو التكوين ولكنه لا يتوقف ، فما دام الانسان حياً وعملية الهدم والبناء قائمة . وفي أول الحياة التكوينية يغلب فيها البناء على الهدم . أما في مرحلة الشيخوخة فيغلب عليها ضعف في تعويض الخلايا المتهدمة .

ويشاهد الانسان بالعين المجردة نموه المستمر في شعره وأظافره ، وهو يلاحظ تبدل كيانه الجسمي وقسمات وجهه التعبيرية في الانفعال إذا شاهد صورته قبل عشر سنوات ، كما انه يستطيع أن يتصور إلى حد ما صورته في شيخوخته المقبلة ، وقد ثبت علمياً ان الانسان العادي يبذل جميع خلاياه وحجراته الجسمية في أحشائه الداخلية والخارجية كل سبع سنوات من عمره وهي حين تتبدل لا ترجع كما كانت تماماً .

٥ - سرعة التكوين ليست واحدة ولا منتظمة في جميع مراحل النمو . إن سرعة النمو هي مقدار التكوين وقوته حسب الوحدة الزمنية . وسرعة النمو ليست ثابتة في زيادتها أو نقصانها كانتظام دقات الساعة في تتابعها . وإنما هنالك قفزات وطفرات يتخللها استراحات . فالبيضة الملقحة في اسابيعها الاولى تنمو جسمياً بسرعة هائلة إذ تبدأ سيرها من كائن لا يرى بالعين المجردة إذا بها بعد عشرة اسابيع تصبح كائناً حياً طوله خمسة سنتيمترات تقريباً ، والتكوين الجسمي بعد الولادة يكون نموه سريعاً في مرحلة الرضاع والمهد حيث يصبح أربعة امثاله في الشهر الثامن عشر إذا قورن بوزنه ساعة الميلاد ، ثم تخف السرعة وتنشط في الطفولة المبكرة . وتخف في الطفولة المتأخرة لتشدد في المراهقة حيث تنتهي بهضبة الرشد المستوية بعد سن العشرين تقريباً . وكذلك في التكوين اللغوي مثلاً حيث تجد أن الطفل يظل أشهراً في أول حياته دون



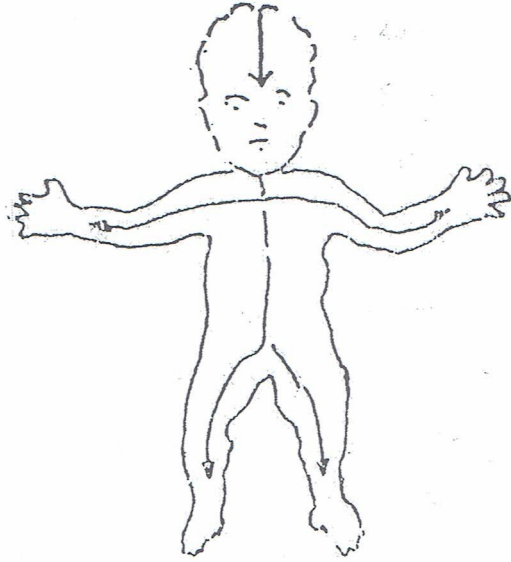
ان ينبس ببنت شفة وإنما هي اصوات مختلفة وأحرف متناثرة . وفي عامه الثاني يتلفظ الكلمة أو الكلمتين أو الكلمات المحدودة وهي في الغالب أسماء . إذا به في السنة الثالثة والرابعة يتوسع في حديثه ، حتى إذا بلغ الخامسة والسادسة أصبح لا يعمل الكلام ، ويجب ان يسأل عن كل شيء ، وأن يعلم كل ما حوله . ويجادل ان يواصل حديثه ساعات دون اعياء ولو وحده احياناً وكأنه يتحدث الى آخرين .

ويلاحظ في التكوين الجسمي انه بعد كل مرحلة نمو سريع تأتي مرحلة نمو بطيء لتركيز ما جمعه الانسان من عناصر التكوين ليكون قادراً على التحكم فيه . وكذلك الحال في اختلاف سرعات التكوين اللغوي والادراكي حيث يجد الانسان فرصة لهضم ما جمعه وتمثل ما وعاه .

٦ - التكوين الانساني يتجه نحو فردية شخصية متميزة ، فالكائنات البشرية رغم تماثلها وتدرجها في نظام تكويني متشابهة فانها ايضاً الى جانب ذلك تنمو في المجال الانساني بفروق فردية واسعة المدى في الجسم والادراك والعاطفة والزواج . وكما يتوارث الناس مميزاتهم المشتركة الانسانية كذلك يتوارثون بعض الاختلافات الفردية بحيث لا نجد انسانين متشابهين كل التشابه حتى ولو كانا توأمين متناظرين وراثية . فان عوامل الرعاية البيئية يستحيل تساويها لهما معاً وطيلة الحياة ، فالافراد يختلفون في مظاهر تكوينهم رغم تساويهم في العمر الزمني . والاطفال لا يقيمون في ارحام الامهات زمناً واحداً ، ولا يلدون كلهم بوزن واحد او طول مشترك ، كما انهم لا يلدون بمزاج انفعالي واحد ، فبعضهم يعيش اسابيعه الاولى هادئاً وادعاً لا يبكي إلا لسبب معلوم من جوع او عطش او ألم او مضايقة . بينما نجد أطفالاً آخرين لا يسكتون من صراخهم إلا ساعات النوم المتقطع او اثناء الرضاع .

٧ - يتجه التكوين نحو نضوجه في المراحل الاولى للحياة اتجاهاً طويلاً يبدأ من الرأس نزولاً في الاطراف حتى الاقدام . فالطفل يتحكم برأسه وما فيه من حواس وعضلات واعصاب قبل أن يستطيع التحكم بذراعيه ، ويتحكم بذراعيه

قبل ان يتمكن من السيطرة على يده ثم أصابعه ، وهو يتحكم بالذراعين عموماً  
قبل ان يضبط حركات الرجلين وقوفاً ثم مشياً ثم قفزاً وجرياً .



٨ - يتجه التكوين في المراحل الاخيرة للحياة اتجاهاً عكسياً الى الوراء من  
أسفل الى أعلا ، فالانسان في زمن الشيخوخة والهزم يفقد السيطرة على رجليه  
إذ تضعفان ويستعين لهما بثالثة ، ثم تضعف أصابع اليد ولا يستطيع التحكم  
بحركاتها ، ثم الذراعان عموماً ، واخيراً يضعف راسه وما يحتويه من حواس  
وعضلات ومراكز عصبية حساسة .

## تطبيقات تربوية نفسية

### قوانين التكوين النفسي

لخص ادوار كلاباريد، القوانين التي تهيمن على التكوين النفسي للانسان  
فجعلها خمسة كما يلي : (١)

#### ١ - قانون التطور التكويني :

فالفرد ينمو طبيعياً حين يمر تبعاً لنظام مطرد بعدد خاص من المراحل المتتابعة  
فالنمو ليس فوضى ولكنه خاضع لنظام ثابت حددته الفطرة الطبيعية .

#### ٢ - قانون التدريب التكويني الوظيفي . وهو في الحقيقة قانونان :

أ - ان تدريب احدى الوظائف شرط لنموها . وهذا هو قانون التدريب  
الوظيفي .

ب - ان تدريب احدى الوظائف شرط في نشأة بعض الوظائف الأخرى  
فيما بعد وهذا هو قانون التدريب التكويني .

(١) المرجع : ادوارد كلاباريد : التربية الوظيفية : ترجمة د . محمود قاسم مكتبة الانجلو المصرية

### ٣ - قانون التكيف الوظيفي :

يخرج العمل التكويني الى حيز الوجود متى كان من شأنه ان يشبع الحاجة او الاهتمام في اللحظة الحاضرة . . . وفن التربية النفسية يوجهنا الى وضع الطفل او الفرد في ظروف من شأنها ان يخرج العمل الى حيز الوجود من تلقاء نفسه :

### ٤ - قانون الاستقلال الوظيفي :

ليس الوليد او الطفل اذا اعتبر في ذاته . كائناً ناقصاً . ولكنه كائن يتكيف بالظروف الخاصة به . ويطابق نشاطه العقلي حاجاته . وتكون حياته العقلية وحدة قائمة بذاتها .

فالطفل كائن كامل . وكل مرحلة من مراحل العمر لها كما لها الذي يناسبها . ونضجها الخاص بها . وكما نسمع الحديث عن الرجل الكامل . والمرأة الكاملة فهناك الوليد الكامل والطفل الكامل والشاب الكامل .

### ٥ - قانون الفردية :

يختلف كل فرد عن غيره كثيراً او قليلاً باعتبار صفاته الجسمية والنفسية والعقلية .

اعني  
ص